بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

آثَار الإِيمَان

الخُطبةُ الأُولَى:

إنَّ الحمدَ لِلَّهِ، نَحمدُه ونستعينُه، ونستغفِرُه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفُسِنا، وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فَلا هادِيَ له، وأَشهدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأَشهدُ أنَّ محمَّدًا عبْدُه ورسولُه.

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] [آل عمران: 102]، [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] [النساء: 1]، [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] [الأحزاب: 70-71].

أمَّا بَعدُ؛ فإنَّ أَصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأَحسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ، وشَرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدعةٌ، وكُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ، وكُلَّ ضَلالةٍ في النَّارِ.

يَا رَبِّ أَنْتَ خَلقتني وَبرَأْتَني ... جَمَّلتَ بِالتَّوْحِيدِ نُطْقَ لِسَانِي
وَهَدِيتَنِي سُبُلُ السَلامِ تكَرُمَاً ... ودفعتَنِي لِلحَمدِ والشُّكْرَانِ
وَغمرتَنِي بِالجُودِ سَيلاً غَامِراً ... وأنَا أُقابِلُ ذَاكَ بِالكُفرَانِ
أنتَ الكريمُ وبابُ جُودِكَ لَمْ يَزل ... لِلبَذلِ تُعطِي سَائِرَ الأَحيانِ
أنْتَ الحَليمُ بِنَا وحِلمُكَ واسعٌ ... أنتَ الحليمُ على المسيءِ الجانِي
أنتَ القويُ وأنتَ قَهارُ الورَى ... لا تُعجِزنَّك قوةُ السلطانِ
أنتَ الذِي آويتَنِي وحَبوتَنِي ... وهَدَيتَنِي مِنْ حِيرةِ الخُذلانِ
ونَشَرتَ لِي فِي العالمَينَ محَاسِناً ... وسترتَ عنْ أبصَارِهم عصيَانِي

عِبَادَ اللهِ: لَا ينبغي أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ أَمْرًا هَامِشياً فِي الْحَيَاةِ، بَلْ هُوَ قَضِيَّةُ الْقَضَايَا، إِنَّهُ سَعَادَةُ الْأَبَدِ، وَإِنَّ عَدَمَهُ لشَقَاوَةِ الْأَبَدِ، إِنَّ الْجَنَّةَ أَبَدًا لِصَاحِبِهِ، وَالنَّارُ أَبَدًا لِمَنْ تَنَكَّبَهُ؛ فَلِزَامٌ أَنْ يُفَكِّرَ الْإِنْسَانُ فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَأَثَرِهِ عَلَى الْحَيَاةِ؛ حَتَّى يَطْمَئِنَ الْقَلْبُ، وَيَنْشَرِحَ الصَّدْرُ، وتَسكُنَ النَّفْسُ، خُصُوصًا وَنَحْنُ فِي عَصْرٍ أَصْبَحَ النَّاسُ يَجْرُونَ وَرَاءَ الْمَنْفَعَةِ لَاهِثِينَ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ لِيَرَوْنَ الْحَقَّ فِيمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَتَّفِقُ مَعَ أهوائِهِم، لَا فِيمَا يُطَابِقُ الْوَاقِعَ، أَوْ تَقَوَّمُ الدَّلَائِلُ وَالْبَرَاهِينُ عَلَى صِحَّتِهِ: قَالَ تَعَالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾[المؤمنون: 71].

الفردُ بلا إيمانٍ رِيشةٌ فِي مهَبِّ الريحِ، لا تستقرُ على حالٍ، ولا تَسكنُ إلى قرارٍ، الفردُ بلا إيمانٍ إنسانٌ لا قيمةَ له ولا جُذور، إنسانٌ قَلِقٌ، مُتَبَرِّمٌ، حَائرٌ، لا يَعرفُ حقيقةَ نفسِه ولا سِرَ وجودِه، لا يَدري مَنْ أَلبَسَهُ ثوبَ الحياةِ؟ ولماذا أَلبسَهُ إياه؟ ولماذا يَنْزِعُه عنه بَعدَ حينٍ؟ الفردُ بلا إيمانٍ حيوانٌ شَرِه، وسَبُعٌ فاتِكٌ مُفتَرِسٌ، بِقلبٍ لا يفقَه، بِأُذُنٍ لا تَسمع، بعينٍ لا تُبْصِر، بَهيمةٌ بَل أضل.

وأمَّا المُجْتَمَعُ؛ فالمُجْتَمعُ بلا إيمانٍ مجتمعٌ غابةٌ وإن لَمَعَتْ فيهِ بَوارِقُ الحضَارَةِ.

المُجْتَمَعُ بلا إيمانٍ مُجتمعُ تعَاسَةٍ وشقَاءٍ، وإنْ زَخَرَ بِأدواتِ الرَّفاهيةِ مِنَ الرَّخَاءِ.

المُجْتَمَعُ بلا إيمانٍ مُجتمعٌ تافهٌ مهينٌ رخيصٌ، غاياتُ أهلِهِ لا تَتَجاوزُ شَهواتِ بُطونِهم وفُروجِهم، قَالَ تَعالَى: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[محمد: 12].

فهنيئاً لكمُ الإيمانَ، وهنيئاً لكمُ القرآنَ، وهنيئاً لكمُ التوحيدَ، وهنيئاً لكمُ الإسلامَ، هنيئاً لَكُم يومَ يَغدُو النَّصَارَى إلى بُيوتِ الصُلْبانِ، ويَغدُو اليهودُ إلى بُيوتِ الشَّيطانِ، ويغدُو المجوسُ إلي بُيوتِ النيرانِ، ويغدُو المُشْرِكونَ إلى بُيوتِ الأوثانِ، ثمَّ تَغدونَ أنتُم إلى بُيوتِ الرَّحْمَنِ، قَالَ تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ

وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[النور: 36]. فاللَّهمَ لكَ الحمدُ على نعمةِ الإيمانِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: الإيمانُ نَفحةٌ ربانيةٌ يَقذفُهَا اللهُ فِي قلوبِ مَنْ يَختَارُهم مِن أهلِ هِدايتِه، ويَجعلُ قلوبَهم تتعلقُ بمحبتِه، وتأْنَسُ بقربِه، فالمؤمنونَ فِي رياضِ المحبةِ، وفي جِنانِ الوصلِ يَرتَعونَ ويَمرَحُونَ، أحبَّهمُ اللهُ فأحَبُوه، فاتَّبعُوا نَبيَهُ ورضيَ عنهُم فرضُوا عنه، تَقَربُوا منه بالصالِحاتِ، فَدَنا منهم بالمغفرةِ والرَّحماتِ؛ كمَا فِي الحديثِ القُدُسِي: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[أخرجه البخاري (6502) عن أبي هريرة τ].

الإيمانُ شُعورٌ يختلجُ في الصدرِ، ويَلْمَعُ في القلبِ؛ فتُضيءُ جوانبُ النفسِ، ويَبعثُ في القلبِ الثِّقةَ باللهِ، والأُنسِ باللهِ، والطمأنينة بذكرِ الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: 28]، الإيمانُ شعورٌ بأنكَ ذَرة في كَونٍ عظيمٍ هائلٍ مُتجهٍ إلى اللهِ، يُسبِّحُ للهِ، ويخضعُ للهِ، ويؤمنُ باللهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[الإسراء: 44] تَباركَ عزَ وجلَ؛ فسبحانَ مَنْ آمنَ له الكون أجمعه! وسبحان من سبَّح له الكون كله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44]، وقال رسول الله ε: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ. لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ عَلَى، أَوْ إِلَى، الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ»[أخرجه أحمد (21516) عن أبي ذر τ]، وفي رواية: «فَلَحَثَيْتُمْ عَلَى رُؤُوسِكُمُ التُّرَابَ»[أخرجها ابن أبي الدنيا في صفة النار(2) عن ابن عمر رضي الله عنهما].

خَلْقٌ عظيمٌ هائلٌ لا يحصيهم إلا خالقهم سبحانه، وظيفتهم التسبيح والتعظيم، قَالَ تعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: 18]، هل جنَّدتَ نفسَكَ -أخي في اللهِ- لتكونَ مِن أهلِ هذا الموكبِ المسبحِ السائرِ إلى اللهِ تَعَالَى.

ومن آثار الإيمان: الثبات بكل صوره ومعانيه عند الشدائد والمحن، الثبات يوم تمتحن الأمة بأعدائها، والثبات للداعي في دعوته، والثبات للمصاب عند مصيبته، والثبات للمريض عند مرضه، الثبات أمام الشهوات، الثبات أمام الشبهات، الثبات على الطاعات ها هو ﷺ وهو يحمل الإيمان في صف، والبشرية كلها في صف مضادٍ فانتصر بالإيمان، صدع بالحق لا يرده عنه رادٌ ولا يصده صادٌ، فوقعت قريش منه في أمرٍ عظيمٍ، فإذا بأحد صناديدها يقول: يا معشر قريش! قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَثًا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، قُلْتُمْ: شَاعِرٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، وقلتم: سَاحِرٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السَّحَرَةَ وَنَفْثَهُمْ وَعَقْدَهُمْ، وَقُلْتُمْ كَاهِنٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَانْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

فاجتمع صناديد الشرك وسَدَنَة الوثنية، اجتمعُوا يقودُ مؤتمرهم إبليس، نعوذُ باللهِ منه، قالوا في اجتماعِهم: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، وَالشِّعْرِ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، قَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْكَ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا، فَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللَّهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى بِأَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا، فقال لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَرَغْتَ يا أبَا الوليد؟» ويا للأدب منه ﷺ! يا

للأدب يوم تركه حتى انتهى من كلامه، ثم شرع ﷺ يرتِّل آيات الله البينات، تسقط كالقذائف على دماغ هذا الرجل، شَرَعَ يقرأ من أوائل سورة فصّلت: ﴿حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)﴾ [فصلت: 1-5]، سمع كلاماً ما هو بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهانة، ألقى هذا الكافر يديه خلف ظهره، وأخذته رِعْدة مشدوهاً مبهوراً بما يسمع، يسمع القرآن من فَمِ من أنزلَ عليه القرآن، حتى إذا بلغ قول الله جل وعلا: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت: 13]، فخافَ وارتعدَ وأخذته الرَّعشة، وأخذ يديه الاثنتين ووضعها على فم المصطفى ﷺ، وقال: أنشدك الله والرحم إلا صمت! أنشدك الله والرحم إلا صمت! خرج مذعوراً خائفاً راجعاً إلى قومه بغير الوجه الذي ذهب به من عندهم، فلما رأوه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: لقد سمعت من محمد حديثاً ما هو بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهانة، ورب هذه الكعبة ما عقلت من حديثه إلا قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت: 13]، فوضعت يديَّ على فمه خوفاً أن ينزل بكم العذاب، ولقد علمتم أن محمداً إذا حدث حديثاً لم يكذب، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14]، جحدوا بذلك. هل استقاموا لرسول الله ﷺ؟ هل انتفعوا بالآيات؟ لم ينتفعوا بذلك، فهل سلم منهم رسول الله ﷺ -بأبي هو وأمي-؟ لا والله! بل ناصبوه العداء كأشد ما يكون، وأروه الأذى كأقذع ما يكون الأذى، وضعوا سلى الجزور على ظهره ﷺ، بل أخرجوه من مكة، ودموعه على وجنتيه ﷺ وهو يقول: «وَاللَّهِ، إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»[أخرجه أحمد (18715)].

ومع ذلك فقد ثبت ﷺ بالإيمان، فنصره الله، ونصر دينه، وأعلى كلمته، فما مِن مِئذنة الآن إلاّ وهي تقولُ في اليومِ خمسَ مراتٍ: أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ، ويأتي صحابته رضوان الله عليهم ومَن بعدهم ليثبتوا بالإيمان ثبات الجبال الشُّم الراسية.

ها هو خالد بن الوليد يقارعُ الرومَ في أرضِهم حتى كانتِ الدائرةُ على الرومِ، فما كانَ منهم إلاّ أن فرُّوا وتحصَّنوا في مَدينة قِنسرِين، محصَّنة بالجُدران المنيعة، والأبواب الثقيلة التي لا يقتحمها مقتحم، فماذا كان من خالد؟ حاولَ اقتحامها فما استطاع، حاولَ أن يحاصرها حصاراً عاماً فما استطاعَ، فما كانَ منهُ إلا أنْ دوَّن رسالةً، قالَ في هذه الرسالةِ، بثباتِ المؤمنِ الذي يثقُ بنصرِ اللهِ جلَ وعلا: "مِنْ خالد بن الوليد إلى قائدِ الرومِ في بلدةِ قنسرين، أما بَعدُ: فأينَ تذهبونَ منا؟ والَّذي نفسَ خالدٍ بيده! لو صَعدتُم إلى السُحبِ لأصْعَدَنا الله إليكم، أو لأمْطَركُم علينا" كلماتُ الثقةِ بنصرِ اللهِ عز وجل، كلماتُ الثباتِ الَّذي لا يكونُ إلا للمؤمنين، تخرجُ كالصواعقِ على أعداءِ اللهِ، وكالبلسم على أولياءِ اللهِ. وصلتْ الرسالةُ إلى ذلك العِلْجِ، فقرأها وارتعدتْ فرائِصُه، ومَا كانَ منه إلا أنْ قالَ: افتحوا أبوابَ المدينةِ، واخرجُوا مستسلمين، لا طاقةَ لنا بهؤلاءِ. ما الذي ثبَّتَ خالداً إلا الإيمان، ما الذي ثبتَ جندُ اللهِ إلا الإيمانَ يومَ أخذوه، وأخذوه بحقٍ وبجديةٍ.

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِ الأنبياءِ والمرسَلينَ، وعلى آلِه وصحْبِه أجمعينَ، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ؛ فيا عِبادَ اللهِ:

ومِنْ آثارِ الإيمانِ: نَبذُ كلِّ ما يُفرقُ الأمةَ مِن قوميات وعصبيات وعنصريات ونَعَرَاتٍ جاهلية؛ فالمقياسُ عندَ المؤمنينَ حقاً؛ التَّقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، لا فضلَ لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى، جسدٌ مؤمنٌ واحدٌ، بُنيانٌ واحد، أمَّةٌ واحدة، لا شَرقَ ولا غَرب.

لو كبَّرتْ في جُموعِ الصّينِ مِئذنةٌ ... سَمعتَ في الغربِ تهليلَ المصلِين
إذا اشتكَى مُسلمٌ في الهندِ أرَّقَني ... وإنْ بَكَى مُسلمٌ في الصينِ أبكَانِي
ومِصْرَ ريحَانَتِي والشَّامُ نَرْجَسِي ... وفِي الجزيرةِ تَاريخِي وعُنوانِي
أرَى بُخارَى بِلادِي وهيَ نائيةٌ ... وأستريحُ إلى ذِكرَى خُراسانِ
وأينَمَا ذُكِرَ اسمُ اللهِ فِي بلدٍ ... عَدَدْتُ ذاكَ الحِمَى مِنْ صُلْبِ أوطَانِي

يَأتي سهيل بن عمرو، وأبو سفيان رضيَ الله عنهما، إلى مجلس عمر τ فيستأذن أبو سفيان -وهو سيد من سادات قريش، بإشارة تتحرك ألوف، وبإشارة منه أخرى ترعد أنوف- يأتي إلى هذا المجلس فلا يؤذن له، وهو مسلم τ بعد إسلامه، ويأتي سهيل بن عمرو τ ويستأذن في الدخول على عمر τ فلا يؤذن له، ويأتي بلال الحبشي τ الذي أكرمه الله بالإسلام فيؤذن له، ويأتي صهيب الرومي τ فيؤذن له، ويأتي سلمان الفارسي τ فيؤذن له كذلك، فماذا كانت النتيجة؟ كان من أبي سفيان τ أن تأثر وتذمَّر وتنمَّر، وقال: [والله! ما ظننت أن أُحْبس على باب عمر، ويدخل هؤلاء الموالي قبلي] فقال سهيل [والله! ما علينا أن نحبس على باب عمر، ولكن -والله- أخشى أن نُحْبسَ على أبواب الجنة ويدخل هؤلاء، لقد دعوا إلى الإسلام فأسرعوا، ودعينا فأبطأنا وتأخرنا، فما علينا أن نحبس على باب عمر، إنما علينا أن نحبس على أبواب الجنة]، أو كما قال ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

ومِنْ آثارِ الإيمانِ على حياة الناس: تنقية قلوبهم من الحسد، وتصفيتها من الحقد والغل، واستلال الضغائن والسخائم منها؛ لتصبح الأمة كما قال رب العالمين: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ﴾ [الفتح: 29]، ها هو ﷺ لما قسَّم غنائمَ حُنين أعطى أهلَ مكةَ، وتألفَ قلوبَ بعضِ المشركين، ولم يُعطِ الأنصارَ شيئاً، فوجدوا في أنفسِهم، فقالَ قائلُهم: وجَدَ رسولَ الله ﷺ قومَه فنسيَنا، وقَالَ الآخر: غَفَرَ اللهُ لرسولِ اللهِ، يُعْطي قُرَيْشًا ويترُكنَا وسيوفُنَا تَقْطِرُ مِن دِمَائِهِمْ. فيذهب أحدهم، بل سيد من ساداتهم؛ سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ وينقل المقالة إلى رسول الله ﷺ فيقول له رسول الله ﷺ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ؟» يعني: أين موقفك أنت؟ حدِّد موقفك؟ هل أنت منهم؟ فيقول: "يا رسول الله مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي، لا يعرفون الخداع، ولا يعرفون الالتواء، إنما هم صرحاء أتقياء أنقياء. فقال ﷺ: «اجمعهم لي» فجمعهم، «فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: {يا معشر الأنصار! فَاجْمَعْ قَوْمَكَ لِي، فَجَمَعَهُمْ. فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا، فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَفُقَرَاءَ، فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَأَعْدَاءَ، فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِي؟ قَالُوا: بَلَى - وَاللَّهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. فَقَالَ: أَلَا تُجِيبُونِي؟ قَالُوا: بِمَاذَا نُجِيبُكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَصَدَقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَوَاسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا؛ لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا:

رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا. وَتَفَرَّقُوا»[الكامل في التاريخ لابن الأثير (141/2)].

أرأيتَ كيفَ استلَّ ﷺ ما في قُلوبِهِم، إنَّهُ لو لم يكن فيها إيمان لما استلَّ ما في قلوبِهم رضوان الله عليهم جميعاً.

ومِنْ آثارِ الإيمانِ على حياة الناس: أنه عصمةٌ وحجابٌ عن المعاصي والشَّهوات يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[أخرجه البخاري (2475)، ومسلم (57) عن أبي هريرة ؓ].

ها هو الشاب القوي الحيّي العالم، الذي يبلغ ثلاثين سنة؛ إنه الربيع بن خثيم، يتمالئ عليه فُسَّاق لإفساده، فيأتون بغانية جميلة، ويدفعون لها مبلغاً من المال قدره ألف دينار، فتقول: علام؟ قالوا: على قبلة واحدة من الربيع بن خثيم، قالت: ولكم فوق ذلك أن يزني؛ لأنه نقص عندها منسوب الإيمان. فما كان منها إلا أن تعرضت له في ساعة خلوة، وأبرزت مفاتنها له، فما كان منه إلا أن قال: يا أَمَة الله! كيف بك لو نزل ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟! أم كيف بك يوم يسألك منكر ونكير؟! أم كيف بك يوم تقفين بين يدَيْ الرب العظيم؟! أم كيف بك إن شقيت يوم تُرْمَين في الجحيم؟! فصرخت وولَّت هاربة تائبة إلى الله، عابدة زاهدة حتى لقِّبت بعد ذلك بعابِدَة الكوفة. وكان يقول هؤلاء الفُسَّاق: لقد أفسدها علينا الربيع. فما الذي ثبَّت الربيع أمام هذه الفتنة؟ هل هي قلة الشهوة؟ إنها الشهوة العظيمة، إذ هو في سن أوج الشهوة وعظمتها -سن الثلاثين- ومع ذلك ما الذي ثبته هنا، وما الذي عصمه بإذن الله؟ إنه الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو. الإيمان -يا أيها الأحبة- كالجمرة، متى ما نفخت بها أضاءت واشتعلت؛ فأصبحت إضاءتها عظيمة.

اللهم يا مزلزل عروش الظالمين يا قاسم ظهور الجبّارين يا مبطل كيد المجرمين.

اللهم عليك بالرافضة والنصيرية ومن ناصرهم.

اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك.

اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك.

اللهم مزقهم شر ممزق.

اللهم اجعل تدبيرهم تدميرا عليهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم لا مفر لنا إلا إليك ولا ملجأ إلا إليك.

اللهم انصر المسلمين على الرافضة والنصيرية ومن ناصرهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم وأبطل كيدهم يا حي يا قيوم.

اللهم أرحم ضعفنا واغفر ذنبنا.

اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا وفرج كروبنا وأحسن خاتمتنا وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، واعف عنا، وأرحم في موقف العرض يا أرحم الراحمين ذل مقامنا.

اللهم إنا نسألك أن تنصر المسلمين في كل مكان.

اللهم أنصر المسلمين على من ناوأهم وعاداهم في كل مكان.

اللهم اهزم الكفار وأنزل بهم باسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اللهم اهزم الأحزاب من اليهود والنصارى ومن هاودهم وناصرهم من المنافقين والرافضة الظالمين - اللهم ردَّ كيد الروافض في نحورهم، وخلِّص بلاد المسلمين من شرِّهم وفِتَنهم، واضرب عليهم ذلاً وهوانًا من عندك.

اللهم احفظ لبلادنا أمنها وإيمانها وعقيدتها واستقرارها، وردَّ كَيْد الكائدين في نحورهم، واقض على أهل الفتنة والفساد والزيغ والعناد.

اللهم وفق ولي أمرنا بتوفيقك، وأيده بتأييدك، اللهم وفقه لهداك، واجعل عمله في رضاك، واجزه اللهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء، اللهم وخذ بناصيته للبر والتقوى وارزقه البطانة الصالحة التي تدله على الخير وتحثه عليه.

عِبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى، ويَنهَى عن الفحشاءِ والمُنكَرِ والبغيِ، يَعِظُكم لعلَّكم تذكَّرون؛ فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذكُرْكم، واشكُرُوه على نِعَمِه يَزِدْكم، ولَذِكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

أَعَدَّها

د. سعيدُ بن سعد آل حماد

www.alhmmad.net

1438/3/24هـ